

## الفصل الخامس

### حكام الحبشة

ذكرنا في صدر هذا الكتاب أن الجبال والهضاب حصون طبيعية يلجأ إليها المضطهد والهارب ؛ ولذا كان سكانها خليطاً من الأجناس البشرية المختلفة ، التي يصعب اندماج بعضها في بعض ، ليكونوا شعباً واحداً ، متحداً في الصفات ، والشعور ، والبيوت والأغراض . لأن من شأن الجبال والهضاب تكوين وحدات جغرافية منزلة تحول بيئاتها المختلفة دون اتحاد سكانها تحت إمرة حاكم واحد . كما تولد فيهم روح العزلة والاستقلال .

ولا يتحد الجبليون إلا إذا غزوا أو هددوا بغزو . فإنهم في هذه الحالة يهبون جميعاً ، ويلقون قيادهم إلى رجل الساعة أو زعيم العصر ، ليذودوا عن حياضهم ، ويدافعوا عن حريتهم التي لا يعدها عندهم شيء .

على أن اتحاد الجبلين ، كما الحنا ، وشيك الزوال ، لا يدوم طويلاً بعد زوال الخطر . وإن دام يكون واهياً مفكك العرى . ولقد شبههم بعض الجغرافيين بالكلاب المسلسلة بعضها إلى بعض ، كل منها يريد الانطلاق إلى جهة غير التي يريدها الآخر ؛ وغير التي يريدها له صاحبه .

وإن طبيعة الحبشة الجبلية ، التي جعلتها في عزلة عن العالم ، وحافظت على استقلالها زمناً طويلاً هي نفسها التي قامت دون دعم حكومة مركزية ؛ وسهلت انقسامها مقاطعات كبيرة ، أو ممالك صغيرة يهيمن عليها ملوك صغار ، أو رؤوس مستقلون في تصريف شؤون مقاطعاتها ، لا يدينون بالطاعة إلا للنجوس أو النجاشي<sup>(١)</sup> أو ملك الملوك

(١) ولقبه الموروث : الأسد القاهر من سبط يهوذا ، المجتبي من الله ، ملك ملوك اثيوبيا . ولا يزال الإمبراطور محتفظاً بلقبه هذا على الرغم من أنه لا يوجد في الحبشة ملوك غيره .

وهو — نظرياً — مرجع السلطات كلها ، مالك الأرض ( أرض الحبشة بالطبع لا الكرة الأرضية ) وما عليها ، وقاضى القضاة .



منليك الثانى ( ١٨٦٥ — ١٩١٣ م )

غير أن سلطة النجاشى ( الإمبراطور ) بحدها نظام الإقطاع القديم ، الذى قضى عليه فى جل البلاد الأخرى ، والذى يقضى بولاء كل فرد لرئيسه المباشر . وهذا وأضرابه يدينون بالولاء لرئيسهم ، وهكذا طاعاً إلى الرأس أو الملك ، الذى يدين بدوره للنجاشى .

فالطبقات الدنيا من رعاة وزراع وصناع ، لا يدينون له ، ( النجاشي ) إلا عن طريق غير مباشر . وفي ذلك يصدق المثل الحبشي « الكلب يعرف سيده ، ولا يعرف سيد سيده . » ولم يستطع أحد من نجاشية الحبشة أن يحدث تغييراً يذكر في هذا الشأن إلا النجاشي منليك الثاني ( ١٨٦٥ — ١٩١٣ م ) الذي يشبهه بعض المؤرخين بالملك لويس الحادي عشر موحد فرنسا . إذ كان ينتهز الفرص السانحة ، ويخلع الرؤوس أو الملوك الوارثين ، واحداً بعد واحد ؛ ويستبدل بهم حكاماً معينين ؛ قابلين للجزل أو النقل .

وحكام المقاطعات ( أو الرؤساء غير الوارثين ) مستبدون في مقاطعاتهم . وهم بحكم العرف الذي أصبح له قوة القانون — الرؤساء المباثرون لجميع المصالح الحكومية . ويبدم تصريف جميع الأمور والشئون من تعليمية ، وقضائية ، وصحية ، ومالية وإدارية . ولا تعطى الحكومة الإمبراطورية للرؤوس مرتبات ، ولكنهم يأخذون ما يكفيهم من الضرائب<sup>(١)</sup> التي عليهم جبايتها . ومنها يصرفون على المصالح الحكومية المختلفة ، ولا سيما على العسس والجنود .

والرشوة متفشية ، وابتزاز أموال صغار الناس منتشر في المقاطعات . والبون كبير جداً بين ما يجبي حقيقة وما يصل إلى خزانة الدولة . ولا يحاسب الرؤوس على أعمالهم إلا الإمبراطور ، فهو يدعوهم إليه في مواعيد معلومة . أو كلما دعا داع أو شاءت إرادته .

(١) تجبي الضرائب محلياً أى في المقاطعات على النحو الآتى :

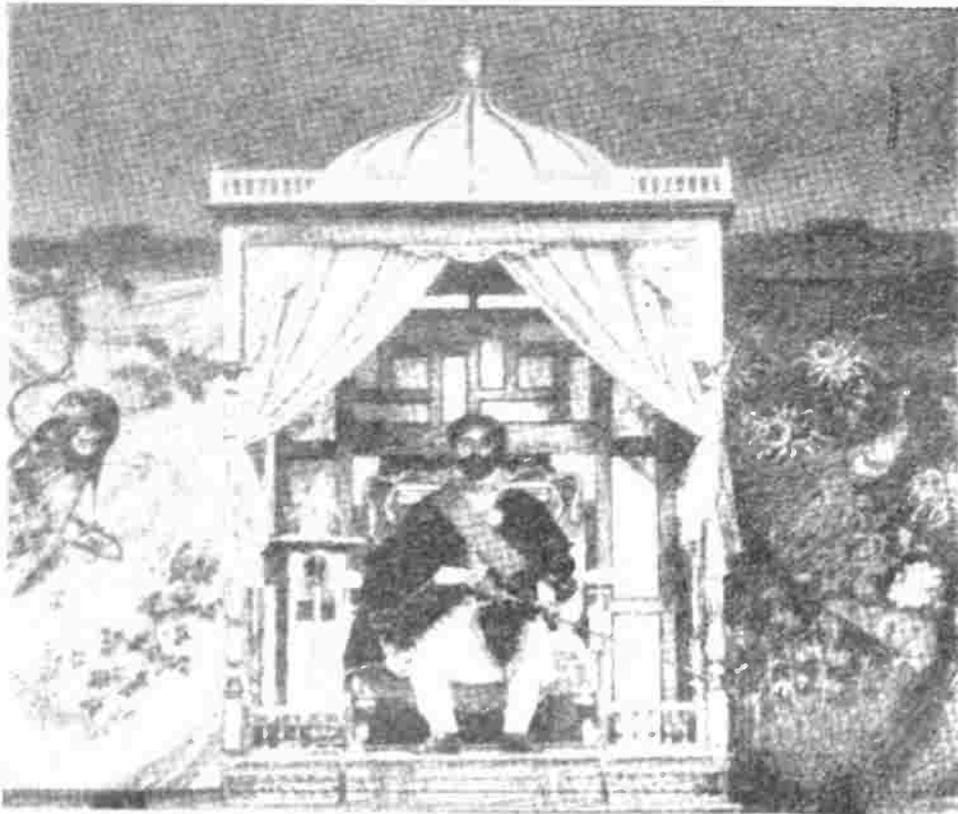
( أ ) العشر نوعاً من المحاصيل الزراعية المختلفة غير القطن .

( ب ) ضريبة في النوع من الماشية ، والنسوجات والحطب والأطعمة المختلفة والقطن .

( ج ) المجهود الشخصي : يوم كل أربعة أيام للسيد .

( د ) درجو وهي مد الجنود بالطعام في أثناء مرورهم وتنقلهم من قرية إلى أخرى وتختلف

هذه الضرائب في المقاطعات المختلفة اختلافاً قليلاً . وفي العادة لا يصل من هذه الضرائب إلى خزانة الحكومة المركزية إلا أقلها .



الإمبراطور هيلا سلامي

ويتكون إيراد الحكومة المركزية أو الإمبراطورية من الجمارك ومن الضرائب النوعية ، التي ترد من المقاطعات ، ومن البريد<sup>(١)</sup> والتلغراف<sup>(٢)</sup> ومجموعها قليل جداً بالنسبة لكبر مساحة الحبشة ، وخصب أرضها ، وعظم ثروتها الزراعية والحيوانية .

(١) البريد مهتان في الأسبوع بين جيبوتي وأديس ابابا . ولايقوم سماء بتوزيع الرسائل على أصحابها ولكن كل من ينتظر رسالة أو طرد يذهب إلى مكتب البريد للسؤال عنه وتسلمه عند وروده . ولقد كتب المستر ري عن البريد في الحبشة ما يأتي :

"The parcel post service from Djibuti was deplorable, — parcels took several months to reach the capital— and when they did arrive, they were generally in a disgraceful condition, having been explored in route, and usually a portion of the contents abstracted entirely."

(٢) لقد كان حال التلغراف أسوأ من البريد « فقد كان وصول الإشارات البرقية يستغرق زمناً أطول مما تستغرقه رسائل البريد ، وكانت فوق ذلك تمسخ مسخاً تاماً ، فتتغير ألفاظها ومعانيها وكان مضمونها ملكاً للجميع .. ولكن البريد والتلغراف تحسناً تحسناً كبيراً منذ أن كتب المستر ري كتابه عن الحبشة .

وهي غير كافية للقيام بالمشروعات اللازمة أشد لزوم لهذا البلد؛ كمد السكك الحديدية،  
وتعبيد الطرق، وبناء المستشفيات والمدارس وإقامة الجسور، وتشديد القناطر والخزانات.  
واقدم أصبحت الحكومة الحبشية بمقتضى دستور سنة ١٩٣١، الذى منحه  
الأمبراطور هيلاسلاسى لبلاده، أصبحت حكومة نيابية؛ ولكنها ليست برلمانية  
بالمعنى الذى تفهمه الأمم الدستورية المتعدنة: فإن لها مجلسين، مجلس للشيوخ، يختار  
الأمبراطور أعضاءه، ومجلس للنواب، لا ينتخب الشعب أعضاءه فى الوقت الحاضر،  
ولكن ينتخبهم الأمبراطور كذلك من ذوى الشأن فى الولايات المختلفة، إلى أن يبلغ  
الشعب درجة من الرقى تؤهلهم انتخاب من ينوب عنهم<sup>(١)</sup>.

---

(١) سلطة المجلس استشارية محضة، ويجمع نصف أعضائه فى العاصمة مرة كل ستة أشهر.  
والسبب فى هذا الإجراء القريب بعد الولايات من العاصمة وصعوبة المواصلات، وفى العاصمة فندق  
خاص بالنواب لا ينزل به غيرهم.